شخصية العدد ٤

الأستاذ الشاعر جورج فرحات حرو

قُطوفُ الأيّام

بقلم الشاعر رمون قسيس

عثَرْتُ على ديوان "قُطوف الأيام" للأستاذ الثانوي والمربّي الراحل جورج فرحات حرّو الذي أبصرَ النورَ في عين بورضاي على قاب قوسين من مدينة الشمس (بعلبك)، ثم أمضى سحابةَ عمره، مُجاهداً ومُناضلاً، في تربية النشء، حيث أقامَ في رياق – حوش حالا هو وقرينتُه ليلى كريمة الشاعر خليل حبيب الرياشي، وربَتْ أُسْرةً مثاليّةً.

حصَّل عُلومَه الجامعيَّة ونالَ إجازةً في اللغةِ العربيَّةِ وآدابها. رافَقْتُهُ بِضْعَ سنواتٍ في ثانويَّة العائلةِ المقدسةِ للراهبات المارونيّات في حوش الأُمراء – زحلة ولم أَعْرِفْهُ شاعراً ولا أستاذَ اللغةِ العربيَّة، بَلْ عَرَفْتُهُ أُستاذاً يُتْقِنُ تدريسَ اللغةِ الفرنسية وآدابها بامتياز.

إنه ربُّ أُسْرةٍ مُؤْمنٌ بربِّه، يُخاطبُه، يُناجيه، يُشَرِّعُ له أبوابَ صَدْرِه، ويَفْتحُ له قلْبَه، يأتي أليه وهو الآتي قبْلَه، يَرْفعُ إليه صَلاتَه قائلاً:

إستجِبْ ربِّي صَلاتي
أنتَ يا ربَّ الحياةْ

يعودُ إلى الذات، يُسائلُها، يُدافعُ عنها جُاةَ من ظَلموا وخَلَعوا عنه بُرْدَةَ الشِعْرِ، يَقيناً منه أنَّه والشِعْرُ توأمان لا يَنْفصلان وصُنوانِ لا يَفْترقانِ، يُخاطبُ قريضَه والبلاغةَ التي فيْه، والدَأْبَ ونثْرَ الدُرَرِ، ونِعْمَ الأبُ الصالحُ والأبناءُ الأخيارُ الميامين إذْ قال:

لو قيل: مِنْ خيرِ أبناءٍ لخيرِ أبٍ؟
أجابتِ القِيَمُ المُسْتعليات: هُمُ

أبياتٌ سَبْعةٌ جاءَت سريعةً كَسُرعةِ نَبضاتِ قلبِه، وعَينُ قافيتها ترى بهاءَ وَجْهها وانسراحَ شَعْرِها وفُتونَ ثَغْرِها، وصَقْلَ خَدها وسِحْرَها. إنَّها "لَيْلاهُ" شريكةُ عُمْرِه، رياشيَّةٌ جُذورُها يَمَنِيَّةٌ، تَسْرحُ كالظَبْيةِ في فِناءِ الدار، وتَحملُ إليه يُمْنَها وحَلاوتَها وطِيْبَها. قال في ختام قصيدته "ليلاي":

لَيْلايَ، أنتِ السِحْرُ نائمةً
والنورُ إنْ فَجْرُ الضِيا لمعا

هو ابنُ هذه الأرض، ابنُ لبنانَ وسَهْلِهِ وحَقْلِهِ، وطَيْرِه وشجَرِه ووادِيه ومُنْحَدرِه، هو ابنٌ من تركَ له إرْثاً خالِداً، هو ابنُ أجدادِه، إنَّه الزارعُ والعاملُ وابنُ الأرْز والحُبّ:

في أَرْزِنا الطُهْرُ والأحبابُ لا القَهْرُ
حلَّتْ مع الدَهْر ذا خَيْراتُهُ البِكْرُ

صَبيحةَ كُلِّ يومٍ، يُشاهدُ علَمَ بلاده يَخْفُقُ قبلَ دخولِه الصفَّ. ويتذكَّرُ كيف امتدَّتْ إليه يَدُ الظُلْم والقَهْرِ لتَجْعَلَهُ ناطقاً بلسانِ العَدَم، لكنَّه يأبى ذلك ويرى النورَ يُبَدِّدُ الظُلمةَ بإباءٍ وشُموخٍ وعِزّةٍ وكِبَر، ويظلُّ يُواكبُه، ويَروحُ يَنْظرُ إلى الغدِ بشوقٍ، ويحتفلُ بِعيدِهِ السَنِيِّ، البَهِيِّ، الباسمِ، الشامخ، المُعْلَوْلي والمُتهادي. وفي كُلِّ عامٍ يراه خافقاً، بسَّاماً، ومُلْهِماً للقَلمِ وللمعرفةِ، يُريدُه مُنْتصراً على الملمَّاتِ ونوائبِ الدهر وحَوادثِهِ.

هو للأدب مَحجَّةٌ، وللأخلاقِ مَنارةٌ وللرَشادِ صَرْحٌ يَزْهو بزائره فيقول:

وزَها الصَرْحُ بِكُمْ - يا حَبْرَنا -
أنتَ فَيْضٌ من سنىً يَنْهمرْ

ويَحْلو تَرْدادُ الضمير "أنتَ" وما لَهُ من دلالاتٍ وإشاراتٍ يَغْنى بها الزائرُ، فإذ به بابٌ للعطاء، نُوْرٌ ساطعٌ للأجيال الآتيةِ وسيْفٌ يُسَلُّ في وَجْهِ المُعْتدي حِفاظاً على بقاءِ الوطن وصَوْنِ عزَّته وكيانه.

هذا هو جورج فرحات حرّو الذي عاشَ الكلمةَ يوماً بيوم، ودَفَعَه قلمُهُ إلى تَبْيانِ عاطفتِه الإنسانيةِ، وإحساسِه المُرْهَفِ، ونُبْلِ أخلاقِه، ورحابةِ صدْرِه، وسَعةِ تفكيره، وصِدْقِ مودَّتِه، وحِرْصِهِ عليها، ومُناشَدة مَنْ رافقَهم في مَسيرَةِ التَعليم، فخرَّجَ أجيالاً وأجيالاً من طالبي العِلْمِ والمعرفةِ، وصُروحُ العِلْم في البقاع شاهدةٌ على مساعِيْهِ الحثيثةِ، وتفجيرِ طاقاتِه العلميَّةِ الهادرةِ من أجْلِ بناءِ وطنٍ سليم، ونُصْرَتِه عبْرَ هذه الصروح المُزْهرة والمُضيئة في الدياجير المُدْلَهِّمةِ، والراهباتُ في أديارهِنَّ قناديلُ مُشِعَّةٌ تنيرُ القلوبَ والعُقول

حيثُ قال:

هُنَّ في الدير بخورٌ عالِقٌ
هُنَّ في الدنيا وروْدٌ تُنْثَرُ
قد زَرَعْنَ الحُبَّ طُهْراً في الدُنى
ونما في قلبهنَّ الطُهْرُ

من صَرْحٍ إلى صَرْحٍ ومن رَوْضةٍ إلى رَوْضةٍ يَتَنَقلُ الشاعرُ، يَهْفو ويَزْهو ويَنْثرُ رياحِيْنَهُ، وعَيْناهُ في الأفقِ البعيدِ سارحتانِ، وقلْبُه الخافقُ بالمحبَّة والإخلاصِ للصَرْح ومَنْ عليه، يَهْديه سواءَ السبيل.

إنَّ جارَ الأعمدة الستَّةِ وجارَ العروس مُوْحىً إليه وهو مُقيمٌ في السهل الفسيح أن يَظلَّ الأمينَ على رسالتِه، ورسالةِ قدموس، رسالةِ الأبجديّة الحقَّة، رسالةِ المعرفة، رسالةِ النور التي بها تُدْحَرُ جَحافلُ الجَهْلِ، ويَنْبَثقُ الروحُ القدُسُ لِيَهْدِيَ الأنفُسَ الضَّالةَ. يقول صاحب "قطوف الأيام" في قصيدته "روضة الحياة":

فهْيَ الضِياءُ إذا غابَتْ قوافِلُهُ
فالجَهْلُ يَغْشو، وتَبْلينا دَياجيهِ

في مِثْلِ ذا اليومِ رُوْحُ القُدْسِ مُبْتِقاً
أَعْطى الهُدى أَنْفُساً كانت تُناجيهِ

وتَسْتَمرُّ الرحلةُ الطَويلةُ مع الشاعر عبْرَ صُروح العلمِ التي آلفها وآخاها، ونشَّأ فيها أجيالاً وأجيالاً، وكانت رحلتُه الثقافيَّةُ مع الأساقفةِ الأحبار والرئيساتِ والراهباتِ، ورِيَّاق تشهدُ يومَ فارقَ أَحَدُ الأساقفة مِصْرَ وكيف غدَتْ بَعْدَ فِراقِه لها وكيف استقبلَتْهُ ريّاق وفرَشَتْ له دُروبَها الملأى بالأزهار والرياحين والورود، وأَثْنَتْ على أَعْطِيَته الكُبْرى، وتغَنَّت بفَهْمِه وحِلْمِه وتَقْواهُ، وما لِلصَرْح إذْ وافاهُ من نَباتٍ في الإيمانِ والشجاعة والجُرْأة في تأديةِ رسالته منذ خمسين عاماً، في يوبيله الذهبيِّ، متغلِّباً على الشدائد، مُحافِظاً على مَجْدِه التليدِ، ومُسْتمراً في نُمُوِّه وإزدهارِه، ويُشيرُ الشاعرُ إلى الإشادةِ برئيسة الصَرْح والراهبات فيقول:

لنا عيونُ السَنا في كُلِّ راهبةٍ
سارتْ إلى نَذْرِها، ما انتابَها نَدَمُ
لها من الطُهْرِ أُمٌّ والجمالِ أَبٌ
داسَتْ على قلْبِها، لم يَثْنِها أَلَمُ

رُبَّ سائلٍ يَسْأَلُ: أين الشعرُ؟ وأين الشاعرُ من كُلِّ هذا؟ فمهْما تقدَّمَ وممّا أتَيْتُ على ذكرِه، يَغْبِطُني أنَّني كَشَفْتُ، عن حقٍّ، مَوْهِبَةً شِعْرِيَّةً تتمثَّلُ في باقةٍ من القصائد تناولَتْ موضوعاتٍ عدَّةً ذاتَ شأنٍ تربويٍّ، وجدانيٍّ، ويَطيبُ الحَفْلُ في إحداها، في يوم العيد، ويَحْلو دُعاءُ المعبدِ ونِعْمَ الحَفْلُ مع القائل:

فانْعِمْ بحَفْلٍ عِطْرُهُ نَفْحُ الوَفا
في حَفْلةٍ من كُلِّ ما ملَّتْ يدُ

الأستاذ الشاعر جورج حرو

لقد شاقني كثيراً أن أُرافِقَ هذا الشاعرَ البِقاعيَّ، ولن أَنْسى يومَ كنتُ أُدرِّس في إحدى مدارس زحلة الرسمية، وكان في أوائلِ السِّتينيَّات قد دخلَ سِلْكَ التعليمِ ودرَّسَ في مدرسة وادي العرائس الرسمية وأَصبح صِهْراً لهذا الوادي هو الفَنَّانُ الكبيرُ الأُستاذ عبد الحليم كركلاً، حيث كان لمارلين حرّو مَلَكَةِ الجمال آنذاك في فرقته الفنِّية، وَهْجُها الأَلَقُ خلال ردحٍ من الزمن قبل أن يُغَيِّبَها القَدَرُ، ويبكيَها كُلُّ من تباهى بفنِّها وجَمالها، وهي نسيبةُ الشاعر جورج فرحات حرّو. يا لها من ذِكْرى تراودُ خيالي في لحَظاتٍ جميلةٍ، رائعةٍ، يَسْطَعُ فيها الشِعْرُ والفنُّ والجمال.

أَمِلَ أن أَعثُرَ في مكتبة نَسِيْبي الدكتور حبيب خليل الرياشي الكائنة في رياق – حوش حالا على قصائدَ أُخَرَ جديدة بأَنْ تشهدَ النورَ، وتُحْتَضَنَ بين دِفَّتَيْ كتاب، وكذلك المخطوطة الضخمة التي تركَها والدُه الشاعر التي تَحْظى باهتمامِ نَجْلِه وفَّقَه اللّهُ. حَرامٌ أن يُصيبَ الجمالَ الوَبالُ، جمالَ الإرْثِ الشِعْريِّ! وما أَجْملَ الشِعرَ إنْ تداوَلَهُ السَمْعُ والبَصَرُ! فبهما تكونُ الحُظْوَةُ للشاعر والقارئ على السواء، ومع "قُطوف الأيام" و"دواني القُطوف" و "مُقَطِّفةِ النجوم" ما أَحلى مواسمَ القِطاف!